

أنثروبولوجيا الجسد في المجتمعات القبلية: العائلة وإنتاج "لبلوح" في المجتمع الصحراوي *Anthropology of Body in a tribal societies: Family and the production of "Lablough" in Saharan society*

د. أناس ابن الشيخ¹

ملخص

تتناول هذه الورقة الجسد الأنثوي في المجتمع الصحراوي، من خلال فهم وتأويل الممارسات والتصورات المرتبطة بإنتاج «لبلوح» والجسد الأنثوي. تركز الورقة، من خلال عمل ميداني بمدينتي العيون والداخلية على مختلف الممارسات الغذائية والطقوس الاجتماعية المتصلة بالبلوح من خلال التركيز على العنف الطقوسي المرتبط بإنتاج الجسد الأنثوي المكتنز، فضلا عن تتبع ارتباطاتها المركبة بأشكال التأهيل الجسدي والطقوسي انطلاقا من مرحلة الطفولة إلى مؤسسة «التغيا» (الزواج) وعلاقة سيروات التأهيل بتكريس أو إعادة إنتاج المكانات الاجتماعية في مختلف مؤسسات الانتماء (العائلة، و«لقريلك»، والقبيلة في مستوى أكبر). في مستوى أخير، دراسة آليات إنتاج التحديات التنافسية (الفردية والجماعية التي يكون موضوعها الجسد الأنثوي) المرتبطة بمعايير الجمال الصحراوي محليا، والتصورات التي تُشكل الهوية الاجتماعية والرمزية للجسد ومتخيلاته على المستوى المحلي.

كلمات مفتاحية: أنثروبولوجيا الجسد، المجتمعات القبلية، المجتمع الصحراوي، العائلة، لبلوح.

Abstract

This study sought to analyze the female's body in Saharan Society. In order to clarify the main aims of this study we will start with « Lablough », a remarkable phenomenon. The latter refers to the practice of force-feeding young girls for various reasons such as: Mariage, family status etc. Furthermore, we will focus on the fattening and young girls in a specific area in the South of Morocco (Laâyoune and Dakhla). On the process, we will try to analyze the importance of "Lablough" practice.

Keywords: Anthropology of Body, Tribal societies, Saharan society, Family, "Lablough".

¹ أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – وجدة.

البريد الإلكتروني: a.bencheikh@ump.ac.ma

استأثرت دراسة الجسد باهتمام كبير من طرف الأنثروبولوجيا منذ بداياتها الأولى. ويمكن اعتبار هذا الأخير من بين المواضيع الجوهرية التي انشغلت بها الأنثروبولوجيا وعكست موضوع اهتمامها العلمي الذي يجسده الإنسان في شكله المادي والرمزي. يمكن أن نتلمس هذا الاهتمام الأنثروبولوجي بالجسد من خلال تعدد المساهمات النظرية والميدانية، باختلاف منطلقاتها وسياقات إنتاجها، في محاولاتها لفهم الجسد في أبعاده المتقاطعة (المادية، الرمزية) وتأويل التصورات والممارسات التي تحدد الهوية الفردية أو الجماعية لماهية الجسد، وكيفية تدخل الثقافة والبيئة في بناء وإنتاج الجسد وفق معايير محددة اجتماعيا.

في البدء تجدر الإشارة إلى أن الأنثروبولوجيا الفيزيائية والبيولوجية كان لها السبق في تناول الجسد عبر الاهتمام بأصول الجنس البشري وأشكال تطوره الفيزيولوجي (تطور الطفرات)، ومن ثم محاولة تصنيفه بالاستناد إلى علم قياس الجماجم (*craniometry*)، وعلم التشريح (*Anatomy*) ومناهج أخرى.⁽²⁾ وهي محاولات كانت موجهة في بدايتها لدعم وتأكيذ فرضية الحتمية الجينية (*Genetic determinism*)⁽³⁾ وتحديد الخصائص البشرية والجسدية والعقلية سواء عن طريق العوامل الداخلية الوراثية (الجينات..) أو نتيجة لتدخل عوامل خارجية (البيئة...)، وحتمية التسلسل الهرمي العرقي والجنساني بين الكائنات البشرية، وبين الجنس البشري نفسه (البدائي والمتحضر..)،⁽⁴⁾ فضلا عن محاولة تعزيز فرضية الاختلافات الجوهرية جسديا وذهنيا بين الإنسان «البدائي» والإنسان «المتحضر».

²⁰. أنظر:

- Larsen, Clark Spencer. *Essentials of physical anthropology: discovering our origins*, New York : W.W. Norton & Company, 2016, p. 28.

³⁰. Cronk, Lee. *That Complex Whole: Culture and the Evolution of Human Behavior*, Boulder, CO; Westview Press, 1999, p.70.

⁴⁰. Sherwood, Washburn (ed.), *Classification and Human Evolution*, New York, WennerGreen Foundation for Anthropological Research, 2004), pp. 3-4-5.

وتبعاً للبراديغم التطوري المعاصر، لا يمكننا فهم مراحل تطور الكائن البشري سواء عضوياً أو اجتماعياً أو ثقافياً...، إلا بالعودة الضرورية إلى مراحل تطور الجسد الحيواني بشكل عام، من حيث اعتبار الكائن البشري، متفاعلاً مع باقي الأجناس الأخرى وبصورة خاصة مع القرود النوع الأكثر قدماً من الإنسان. ومن خلاله يمكننا تتبع تاريخ تطور الكائن البشري من حيث «تطور الجانب الحركي للإنسان (التنقل...)»، تبع ذلك الأطراف العليا وجهاز المضغ والتقنيات الأخرى. فتطور اليد والأسنان...، ثم لعب تطور الحضارة المادية دوراً أساسياً في تطوير المواهب الذهنية بإتاحته لطرق اكتساب وتحضير الغذاء بصورة تجعله قابلاً للهضم...، ولم تبلغ الجمجمة حجمها الحالي إلا مع إنسان نياندرتال العاقل (بين 300000 و100000 سنة ق. م). لقد كان التطور البشري عضوياً، ونفسياً، واجتماعياً، وتقنياً معاً. ⁽⁵⁾

في محاولة لتجاوز مقاربات البيولوجيا التطورية التقليدية والتطورية أحادية الخط، ساهمت أعمال فرانز بواز (Franz Boas)، في جانب مهم منها، في الاهتمام بموضوع الجسد لا باعتباره عنصراً عضوياً مادياً فحسب، بل باعتباره معطى اجتماعياً وثقافياً. إن الجسد، حسب بواز، يتشكل اجتماعياً عبر تفاعلاته مع المحيط الاجتماعي والثقافي، لذلك عمل هذا الأخير على تتبع الاختلافات الجسدية بين المجتمعات البشرية، متخذاً من قبائل الإسكيمو نموذجاً إثنوغرافياً للتحليل، محاولاً تجاوز التنميطات الجاهزة التي ظلت سائدة لفترة من الزمن (نقص تحديد الحتمية البيولوجية ذات النفس التطوري)، حول اختلاف بنية الجسد (الإنسان) البدائي عن جسد (الإنسان) المتحضر، فضلاً عن تعزيز النسبية الثقافية كمنهج أساسي ورؤية مكرسة لتحليل وتناول تاريخ وثقافة المجتمعات البشرية.

وفي مستوى آخر، يتصل التحول النوعي للأدبيات الأنثروبولوجية حول الجسد مع ظهور أعمال تأسيسية. يعتبر التراث الأنثروبولوجي لمارسيل موس (Marcel Mauss) ومارغريت

⁵ فيليب لابورت تولرا، جون بيير فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، (بيروت، منشورات مجد للنشر والتوزيع، 2004)، ص 45.

ميد (Margaret Mead) وروث بنديكت (Ruth Benedict)، نماذج فارقة لتحليل تصورات الجسد من خلال مداخل محددة مثل التنشئة الاجتماعية والتأهيل الاجتماعي والرمزي («التقنيات» أو «الأنماط الخاصة» بتمثيلات الجسد... إلخ)، وبدراسة الجسد باعتباره موضوعا اجتماعيا. وفي نفس السياق يمكن اعتبار برونسلاو مالينوفسكي (Bronislaw Malinowski) من أهم علماء الأنثروبولوجيا اهتماما بالجسد البيوثقافي وتركيزه على وظائف الثقافة في المجتمعات المسماة بدائية. تؤدي الاستجابات الثقافية، حسب مالينوفسكي، وظيفة إشباع الحاجات البيولوجية الأساسية للإنسان. وخلافا لذلك، قامت ماري دوغلاس (Mary Douglas) لاحقا، بالإحالة على السمات الرمزية للجسد والتركيز على خصائصه الرمزية. إن الجسد، كما جادلت في عملها «الرموز الطبيعية: صورة مصغرة للمجتمع». بهذا المعنى، يقيد «الجسم الاجتماعي الجماعي» كيفية إدراكنا للجسد المادي، بينما يحدد الجسد المادي البنية الاجتماعية⁽⁶⁾. فضلا عن أطروحات لينهارت حول الجسد الثقافي ودوره في ترتيب الأفراد والمجموعات اجتماعيا ورمزيا وماديا عبر مساهمة ناعمة من المؤسسات الاجتماعية⁷.

عموما، وفي سياق تناول الجسد أنثروبولوجيا، فإن هذه الورقة البحثية ستحاول مقارنة الجسد الأنثوي، على الأقل في جانبه الاجتماعي والثقافي وتتبع حضوره على في ترتيب المكانات الاجتماعية، في المجتمع الصحراوي، فحين ننظر إلى محددات المكانات الاجتماعية في سياق المجتمع الصحراوي، مجتمع دراستنا، فإن أول ما يمكن الوقوف عنده هو مؤسستا القبيلة والعائلة، حيث يعتبران مؤسستان متجانستان يصعب الفصل بينهما ويسهمان بصورة أساسية في تثبيت واستمرارية التراتبيات التقليدية (المحارب والزواوي والصانع...)، وإعادة إنتاج المجتمع ذاته. فضلا عن إنتاج تراتبيات جديدة انطلاقا من

⁶⁰. Barnard, Alan and Jonathan Spencer (eds.), *The Routledge Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology*, London: Routledge, 2nd edn, 2010, pp. 91-92.

⁷. أنظر:

- Leenhardt, Maurice. *Do Kamo: Person and Myth in the Melanesian World*. University of Chicago Press, 1979.

أشكال التأهيل الجسدي والرمزي التي يخضع لها الطفل منذ لحظة الميلاد والإعلان عن ضبط المكانات أو إعادة إنتاجها،⁽⁸⁾ الأمر الذي يسمح بضمان ديمومة بنية النظام الاجتماعي التقليدي وإعادة إنتاج البنية العائلية والقبلية بشكل عام، إضافة إلى مساهمة هذه الأخيرة في إنتاج القيم المرتبطة بهذين المؤسستين من قبيل: مفاهيم الفحولة الذكورية (la virilité) والأنوثة وإنتاج معايير خاصة بالجمال الأنثوي؛ أي ما يسمى محليا بـ «لبلؤخ»، وتكريس ارتباطاتهما بمفاهيم الشرف و«لخيام لكبارات» عبر الاستناد إلى بعض الممارسات الحمائية المتصلة بحفظ الشرف والمكانات الاجتماعية.

لا تنفصل المكانة الاجتماعية عن السمعة (réputation)، والهيبية (prestige) التي تمثل قيما أساسية في العديد من المجتمعات؛ لاسيما في «المجتمعات التقليدية»، وذلك لما لها من تأثيرات بالغة الأهمية على تدبير العلاقات الاجتماعية وتصورات الآخرين للفرد والجماعة. وفي هذا السياق يعتبرها نيكولاس إيملر (Nicholas Emler): «بمثابة أداة اجتماعية (instrument social) تخص الإنسان دون باقي الكائنات الأخرى، وينتج بواسطتها تمايزاته

⁽⁸⁾. يمكن الإشارة هنا إلى الهابيتوس، أي تلك الاستعدادات التي يكتسبها الفرد في علاقته بجماعة الانتماء والمرتبطة أساسا بأشكال التنشئة الاجتماعية، فهذه الأخيرة تنتج وتكتسب اجتماعيا (عبر التفاعلات مع المجتمع وثقافته...) غير أنها تستند أيضا، في جوانب مهمة، إلى الأبعاد الجينولوجية، ويمكن تلمس هذه التداخلات في سياق المجتمع الصحراوي تحديدا حيث تلعب المحددات الاجتماعية أدوارا مهمة في ترتيب المكانات الاجتماعية والسلطة الرمزية بما فيها السلطة اللامرئية (الدينية...)، وفي هذا السياق، يمكن، على سبيل المثال، أن تقوم الولادة بأدوار مركبة فهي بمثابة إعلان عن ميلاد واستمرار النسل (السلالات...) كما أنها إعلان ضمني عن ترتيب المكانات الاجتماعية وفقا للنظام الاجتماعي القائم (حسان، وزوايا، والمعلمين...).

- نشير هنا إلى كون هذه العناصر تم تناولها أنثروبولوجيا من طرف مجموعة من الأنثروبولوجيين، من قبيل كل من: كورين

فورتيه (Corinne Fortier) وآلين تاوزين (Aline Tauzin) وإدوارد كونت (Edouard Conte):

- Fortier, Corinne. « Le lait, le sperme, le dos. Et le sang ? », *Cahiers d'études africaines*, no 161, 2001, mis en ligne le 06 décembre 2004, pp. 97-138.
- _____. « Le corps comme mémoire : du giron maternel à la fêrle du maître coranique ». *Journal des africanistes*, tome 68, fascicule 1-2, 1998, pp. 197-224.
- Tauzin, Aline. « La femme et la jouissance interdite. Différence des sexes dans la société maure de Mauritanie », *Essaim*, no 10, 2002, pp. 107-120.
- Conte, Edouard. « Alliance et parenté élective en Arabie ancienne Éléments d'une problématique », *L'Homme*, no102, 1987, pp.119-138.

عن الآخرين وهو ما يدفع الجميع إلى حمايتها».⁽⁹⁾ وبالمثل، فإن الجسد الأنثوي في سياق زمن "لُفْرِيدْغ" (أي البداوة والترحال) يمثل رهانا تنافسيًا لا ينفصل عن هذه الأدوار الاجتماعية. كونه يسهم بصورة أساسية في تدبير الرأسمال الرمزي والاجتماعي للأنثى نفسها، حفظ سمعتها وحظوتها الجمالية في علاقتها بباقي نساء المجموعة، فضلا عن تدبير سمعة مجموعة الانتماء وقدرتها على ديمومة مكانتها الاجتماعية (العائلة والفريك والقبيلة...).

وهكذا، ستهتم هذه الدراسة الميدانية بموضوع الجسد الأنثوي في سياق المجتمع الصحراوي من خلال الاعتماد على مقارنة أنثروبولوجية تستند إلى المعطيات الإثنوغرافية المستقاة ميدانيا بدرجة أولى، فضلا عن العودة المتأنية إلى المرويات والوثائق الإثنوغرافية المحلية. أولا- الجسد الصحراوي بناء اجتماعي ورمزي

إن الاهتمام بالجسد لما يحمله من أبعاد مركبة تجمع بين ما هو عضوي؛ اجتماعي وثقافي ورمزي. يجعلنا نتجاوز بشكل أو بآخر التصورات الاختزالية التي تقتصر على المحددات الفيزيولوجية، التي تعتبر أن الجانب المادي للجسد يظل السمة المميزة لوجودنا،⁽¹⁰⁾ غير أن قدرة الكائن البشري، باعتباره فاعلا اجتماعيا ورمزيا، على إنتاج المعنى والتفاعل مع مختلف المكونات الاجتماعية تجعله لا ينفصل عن أهمية الانطباعات الاجتماعية للجسد بحيث تصبح هذه الأخيرة محددًا لموقعه الاجتماعي والرمزي داخل منظومة معقدة يصعب فهمها من الخارج، الأمر الذي يعزز من اختلافه عن باقي الكائنات الأخرى ويتجاوز بذلك أبعاده البيولوجية ليُعبّر اجتماعيا عن هويته الخاصة؛ وعن تصورات اجتماعية وفردية متداخلة للجسد في الوقت ذاته. من خلال توظيفه لخصائصه الجسدية والاستناد إلى دلالات رمزية تعكس تمايزاته الشخصية عن باقي الأفراد.

⁹⁰. Emler, Nicholas. « La réputation comme instrument social », *Communications*, n° 93, 2013, p. 85.

¹⁰⁰. Burton, John. *Culture and the Human Body: An Anthropological Perspective*, Illinois: Waveland Press, Inc., 2001, p.1.

إن الجسد، حسب مارسيل موس، هو فاعلية مكتسبة لدى الإنسان، «يتعلم مهاراته ويكتسبها اكتساباً بدافع الضرورة الوجودية المادية والرمزية في آن»⁽¹¹⁾ وهذا يعني لا وجوداً لمعنى ميتافيزيقي منزل للجسد لا من السماء ولا غيره من العالم المفارق لعالمنا المادي بحيث «يجب أن ننطلق من الملموس نحو المجرد... كما أن جميع أساليب الفعل ليست سوى تقنيات هي تقنيات الجسد»⁽¹²⁾

في الواقع كلما تتبعنا دلالات الجسد وانعكاساتها على الفرد والمجتمع، إلا وانكشف لنا مدى تميز الكائن البشري ومدى صعوبة تفكيك رموزه الثقافية، بحيث أن استخدام الإنسان لتعبيراته الجسدية تتجاوز بكثير العناصر البيولوجية وتتداخل فيها جوانب أخرى نفسية واجتماعية، بل تطورت معه مجموعة من السلوكيات المميزة مثل: الانتقال «من الإدراكات الحسية إلى الرسم على الجلد، من سلوكيات الوقاية إلى سلوكيات التغذية، من طرق الجلوس إلى المائدة إلى طرق النوم»⁽¹³⁾ وبذلك أصبح موضوعاً للتمثيلات الاجتماعية ومادة للرموز.

وفي هذا المستوى، أثار بيير بورديو (Pierre Bourdieu) مسألة بالغة التميز متمثلة في أهمية الجسد في تحديد المكانات الاجتماعية، والتفكير في تحديد الطبقات الاجتماعية من خلال التمثيلات والمواقف تجاه الجسد، وقراءة ما تضمهر السلوكيات الخارجية وما تخلفه من انطباعات عند الآخر. لقد شكلت التعبيرات الرمزية موضوعاً مهماً في أبحاث بورديو، حيث ذهب إلى تحليل الانطباعات التي ينتجها الجسد وما يرافقها من تمثيلات غيرية (من الغير أي الآخر) واعتبرها عنصراً جوهرياً في العلاقات التواصلية، «فالجسد المثالي كمنتج

¹¹0. مارسيل موس، تقنيات الجسد ومقالات إنسانية أخرى، ترجمة وتحقيق وتعليق: محمد الحاج سالم، (بيروت، دار

الكتاب الجديد المتحدة، 2017)، ص 5.

¹²0 المرجع نفسه، صص: 7-16.

¹³0. دفيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد، ترجمة: عياد أبلال وإدريس المحمدي، (القاهرة، روافد للنشر والتوزيع،

(2013)، ص 8.

اجتماعي مرتبط باللباس والجراحة التجميلية كل هذا لجعله جذابا وقابل للممثل...، وتنتج عنه مجموعة من الانطباعات».⁽¹⁴⁾

إن الجسد «يبدو أمرا بديها، لكن هي غالبا الطريق الأقصر للسير. وعالم الأنثروبولوجيا يعلم أن هناك في قلب البداهة فراغا، حسب الصيغة الجميلة لأدموند جابيس»،⁽¹⁵⁾ غير أن هذه البداهة – المتصلة بالوضوح والمسلمات- تتحول، عند دراستها أمبريقيا، إلى عناصر مركبة وشديدة التعقيد باعتبارها متصلة بالرموز والانطباعات التي ينتجها الجسد في تفاعله مع الآخر، كما أن هذه الأخيرة تكشف عما يضمه الجسد المرئي وعما تخفيه رموزه المهمة، فالرمز يعبر عن المعنى الذي يضيفه الفرد على مجموع سلوكياته وممارساته اليومية.

بهذا المعنى، يؤدي الجسد أدوارا مختلفة، فهو من جهة يكشف عن قدرة الإنسان على إنتاج رموز وممارسات مختلفة، ومن جهة أخرى يساهم في إنتاج تمايزات اجتماعية مكثفة كما تكشف عن ذلك ظاهرة لبوح في المجتمع الصحراوي، ومجتمع الساقية الحمراء تحديدا، التي سنتناولها بالدرس والتحليل.

وفي هذا المستوى، نشأت الأنثى الصحراوية على ضرورة تحصيل جسد مكتنز (مُبْلَخ) يماثل تمثيلات المجتمع للجسد، كما أن هذا الأخير يعد مساهما رئيسيا في تأهيلها إلى سباق الزواج، مما يضيف على عملية لبوح أهمية بالغة سواء عند الأنثى أو العائلة التي توفر عناية فائقة للفتاة عبر تأهيلها للبلوح وعنايتها الدقيقة بمختلف مراحلها. يمكن «اعتبار تسمين (البلوح) الطفلة نظيرا للتعليم القرآني بالنسبة للطفل، فالتسمين والتعليم القرآني يحدثان في المرحلة نفسها من نمو الطفل، في حدود السنة السادسة، ويخضعان للعملية نفسها، من جهة إدخال كميات كبيرة من اللبن إلى جسم الطفلة (عملية «الإلبان»)، ومن جهة أخرى إدخال عدد كبير من الآيات إلى عقل الطفل. يهدف الاثنان إلى تطوير ملكة التحكم في

¹⁴⁰. Bourdieu, Pierre. « Remarques provisoires sur la perception sociale du corps », *Actes de la Recherche en Sciences Sociales Année. 1977*. pp. 51-54.

¹⁵. دفيد لوبروتون، مرجع سابق، ص 6.

الذات، الانضباط، والمثابرة. التعليم القرآني والتسمين. إذن يتعلق الأمر بطقوسٍ مرورٍ خاصة بكل جنس؛ المرور إلى طور الرجولة وكذلك الوعي بالاختلاف الجنسي⁽¹⁶⁾».

إن الجسد الأنثوي، بهذا المعنى الذي تعبر عنه عملية لبْلُوح، لا يرتبط بالأنثى فحسب بل يتخذ شكلا جماعيا (الأنثى، والعائلة، والقبيلة...)، ومن خلاله يمكننا فهم مجمل التمثيلات المحلية التي ارتبطت بالجسد الأنثوي وأبعاده الاجتماعية والرمزية. وهو ما تكشف عنه الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية على الخصوص، كونها تعتبر الجسد محددًا مهماً لهوية الإنسان وعتبة ضرورية لتناول الكائن البشري في شقيه المادي والرمزي، وذلك لما يتضمنه هذا الأخير من أبعاد رمزية واجتماعية تؤسس لعلاقة الإنسان مع ذاته أولاً ومع الآخرين ثانياً.

إن اعتبار الجسد معطى اجتماعيا، كما رأينا مع موس وبورديو، يتجسد بوضوح في علاقة الأنثى البيضانية بعملية لبْلُوح، فرغم قساوة الظروف المتحكمة في تدبير هذه العملية إلا أن التمثيلات الاجتماعية التي ارتبطت بالجمال البيضاني أكسبته (لَبْلُوح) فعالية قوية، بحيث اعتبر البيضان «لَبْلُوح» ضرورة حتمية للأنثى من أجل إكسابها شكلا جماليا مقبولا اجتماعيا؛ مما يعني تأهيلها المبكر لتنافسات الزواج. غير أن هذا الأمر لا يتعلق بالأنثى فحسب، كما أشرنا، بل بمجموعات الانتماء (العائلة والقبيلة...) لما للزواج من عوائد جماعية مهمة، حيث يؤثر اكتناز الجسد الأنثوي على سُمعة الجمال وسلم المكانة الاجتماعية واندراج الأنثى ضمن "لَحْيَاْم لَكَبَارَاتْ".

إن ارتباط لبوح بالمكانة الاجتماعية يدخل ضمن ما يسمه مارسيل موس بـ: «مردودية الجسد، بحيث يعمل الإنسان على تكييف حركاته في ضوء أهدافه الخاصة، إن الأمر شبيهه بتركيب آلة ومحاولة تحصيل مردوديتها»،⁽¹⁷⁾ كما أن هذه العملية التي تحدث عنها موس

¹⁶⁰. Fortier, Corinne. « Le corps comme mémoire : du giron maternel à la fêrle du maître coranique ». *Journal des africanistes*, tome 68, fascicule 1-2, 1998. p. 209

¹⁷. مارسيل موس، مرجع سابق، ص 21.

توازي ما يرتبط بالبلوح من أهداف فردية وجماعية؛ وما يتخللها من مراحل معقدة (توفير الحليب والخادم... إلخ) قصد تحصيل جسد «مُبْلَغ» أو متكّن.

من هذا المنطق، يمكن اعتبار لبُلوح نتاجا اجتماعيا تتدخل في تدبيره غايات فردية وجماعية، أما الغايات الفردية فتتجلى في تأهيل الأنثى للزواج، بينما تتصل الغايات الجماعية بالمكانة الاجتماعية لمجموعة الانتماء (العائلة والقبيلة...) وإظهار قدراتها المادية، المتمثلة أساسا في قدرتها على توفير حاجيات لبوح (توفير الحليب والثورة الحيوانية والخدم...)، وبالتالي يتم إنتاج جسد يتماشى مع معايير المجتمع وتمثالاته للجمال الأنثوي.

إن ما يعزز من هذه المعايير الجمالية هو ارتباطها بمراحل زمنية بعيدة من تاريخ المجتمع الصحراوي، وفي هذا السياق نستحضر ما ذكره البكري عن جمال نساء أودغست قائلا: «أخبرني أبو رستم النفوسي وكان من تجار أودغست أنه رأى منهن امرأة راقدة على جنبها وكذلك يفعلن في أكثر حالهن إشفاقا من الجلوس على أردافهن، ورأى ولدها طفلا يلعبها فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الأخرى من غير أن تتجافى له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها.»، كما وصف صفات نساء صنهاجة الصحراء مبينا محاسنهن وفق مقاييس ذلك العصر فقال عنهن: «...جوار حسان الوجوه، بيض الألوان، منثنيات القدود لا تنكسر لهن نهود لطاف الخصور ضخام الأكتاف».⁽¹⁸⁾

وفي مرحلة زمنية لاحقة، نفهم من خلال معطيات الإداري الفرنسي ليونار ديغون (Léonard Durand) أن مقاييس الجمال تتشابه في عموم المجتمع البيضاوي. وفي هذا السياق يقول ديغو: «يتوجه الذوق العام نحو التشابه في مقاييس الجمال الأنثوي الصحراوي، وهو ما يتمثل في العناصر التالية: قوام أنيق، مشية هادئة، ملامح رقيقة...، وبالضرورة جسد مكتنز، أما العنصر الأخير فيحتاج إلى غذاء مكثف وصارم، حيث تتعاطى

¹⁸ الناني ولد الحسين، صحراء المثلثين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا: من منتق القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/19م، (بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007)، صص: 98-99.

كل صباح لكمية كبيرة من الذرة ولبن الإبل، وحتى في غياب الشهية، فإن الأنثى مجبرة على الانصياع»⁽¹⁹⁾.

إن العناصر الأخيرة التي ذكرها ديغون، أي ما يتعلق بالمشية الهادئة والقوام الأنيق... إلخ، تتصل حسب تصورات مارسيل موس بطبيعة التنشئة والترويض (*dressage*))، وفي هذا الصدد يسوق موس مثالا توضيحيا على هذه الترابطات العلائقية بين تقنيات الجسد والتنشئة الاجتماعية من خلال نموذج المجتمع الماوري (*Maori*)، حيث «يتميز نساء الماوري بطريقة مشي مميزة ويعتمدن (مشية) خاصة يتأرجح فيها الردفان بشكل مستقل ومفصل مع الجسد في آن. وقد تبدو هذه المشية خرقاء في نظرنا، إلا أنها مثار إعجاب كبير عند الماوري. فالنساء يدربن بناتهن على هذه المشية التي يطلقن عليها اسم "الهويني" (*oni oni*) وعلى التفنن فيها. وقد سمعت بعض أمهات الماوري يلمن بناتهن إذا أهملن المشي بهذه الطريقة المتميزة بالقول: أنت لا تمشين الهويني". إنها طريقة مكتسبة في المشي وليست طبيعية»⁽²⁰⁾.

وبالتالي، فإن تشكيل جسد مثالي، في سياق المجتمع الصحراوي، لا يتوقف عند حدود السمنة (يُعَوَّدُ مَلَأَنُ)، بل يمتد إلى باقي التقنيات الأخرى (المشي والكلام... إلخ)، وهو ما عملت على تديره العائلات البيضانية وبصورة خاصة النساء والخادמות.

ثانيا: الجمال الأنثوي في المجتمع الصحراوي: بين زمني "لُفْرِيك" و"الدَّشْرَة" يعتبر الجسد المكتنز (جِسْم مَلَأَنُ أو مبلح) القوام المفضل في مقاييس الجمال الصحراوي، وهو ما يظهر بوضوح على مستوى حجم (الجَقَّة)⁽²¹⁾ أي الأرداف ويقال أيضا امرأة جهفاء، إلا أن هذا لا يعني اقتصار الجمال على الأرداف بل يتصل أيضا بباقي العناصر التي ذكرناها توا، حيث يوصف جمال الصَّالْك (الساق) مثلا بعبارة: «زَيْنُ مَنْزَلْ» في إشارة إلى لحمة الساق التي تغطي القدم.

¹⁹⁰ . Durand, Léonard. *Voyage au Sénégal*, vol 2, Paris : Imprimeur-libraire, 1802. p. 89.

²⁰ . مارسيل مورس، مرجع سابق، ص 13-14.

²¹ .⁰ وقد تعني الجفة أيضا الجسم كله، وذلك حسب استخداماته في سياقات مختلفة.

أما جمالية الخصر فتربط بالنعافة ويعبر عن ذلك ب: «حَوْصَة شَوَاكَلَهَا مَا فِيهَا لَحْمٌ» أو «مَحَزَمَهَا رُكْيُكُ» بمعنى أن خصرها دقيق ونحيف، ونفس الأمر بالنسبة للقدم حيث يفضل القدم الصغيرة، فيما يفضل الأنف الحاد ويقال في هذا السياق: «الْخَشَمُ مَكْيُودٌ»، أما جمال العين فيتمثل في العيون الكبيرة والرموش البارزة ويقال: «حَرْشَةُ وَمَبْلُوسَةٌ» في إشارة إلى عيونها الكبيرة و«رُفُودُ الْعَيْنِ» (الرموش) الطويلة، فيما يلي نقدم وصفا دقيقا لمعايير الجمال الأنثوي في المجتمع الصحراوي:

معايير الجمال الأنثوي في المجتمع الصحراوي

اللغة العربية	اللهجة الحسانية
رجل صغيرة غير بارزة العظام	كُرَاعٌ صَغِيرَةٌ مَلْسَةٌ
ساق مستقيم	صَاكٌ مَدْعُوبٌ
ركبة كأن لا عظام بها ملساء وغير مجعدة	رُكْبَتُهَا مُدْرَمَزَةٌ
فخذ ممتلئة ومشدودة	كَائِمَتُهَا مَبْرُومَةٌ
خصر نحيف	كُرْشُهَا هَجْفَةٌ
مؤخرة بارزة	وَرَكْمَا كَبِيرٌ
نهداها صغيران منتصبان	بَزُولَتُهَا صَغِيرَةٌ
ذراع مشدود وممتلئ ولين	ذُرَاعُهَا زَيْنٌ
كتفان منحنيان	وَمَنْكَبُهَا مَهْدُودٌ
زند غير نحيل واسطواني	زَنْدُهَا مَدْفَكٌ
يد رطبة ولينة	اَيْدِيهَا زَيْنَةٌ
اصابع نحيفة كأنها أقلام	وَاصْبَاعُهَا قَلُومَةٌ رَكَكٌ
رقبة طويلة	رُكْبَتُهَا طَوِيلَةٌ
رأس صغير	وَتَعُودُ حَبَّةُ رَأْسِهَا صَغِيرَةٌ
شعر طويل	وَزَعْمُهَا طَوِيلٌ
وجه جميل	وَوَجْهُهَا يُعُودُ زَيْنٌ
فم صغير	وَفَمُهَا صَغِيرٌ

سَنِمَهَا زَرْكُ يَسْوَى (سواء) مُفْلَجَاتُ) الفلجة هي الفراغ بين الأسنان) وَيَسْوَى (سواء) مِصَاقَاتُ (متراصة)	أسنان نظيفة وناصعة البياض، المتراسة أو التي تتضمن فلجة
تُعَوِّدُ عَيْنَهَا كَبِيرَةً	أعين كبيرة حوراء
وُخْشَمَهَا مَكْيُودُ	أنف نحيل مستقيم
وَرُمَانَتْهَا مَطْحُونَةٌ	أسفل العين أو أعلى الخد تكون غير بارزة ولا مرتفعة
جَبْهَتُهَا مَلْسَةٌ مَا تُعَوِّدُ مَارَكَةً	جبهة غير بارزة

المصدر: المعطيات الميدانية (من إنجاز الباحث).

تنطبق مجموع هذه المعايير أو تمثيلات الجمال الأنثوي على صورة المرأة العربية قديما ومدارة جمالها، حيث يرى الرجل العربي «جمال القوام في امتلائه فإذا كانت المرأة كذلك فقد تحقق نصف جمالها أو أكثره، ولهذا قال أعرابي وقد سئل عن النساء: «أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت» وقيل لأعرابي كان ذا تجربة للنساء: صف لنا شر النساء؟ فقا لشرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم». وقيل لأعرابي: «أتحسن صفة النساء؟ قال: نعم، إذا عذب ثناياها، وسهل خذاها، ونهد ثدياها، وفعم ساعداها، والتف فخداها، وعرض وركاها، وجدل ساقها، فتلك هم النفس ومناها».⁽²²⁾

بينما لا تعجبه، الرجل العربي، المرأة الهزيلة (الرسحاء)، وفي هذا السياق نظم عمر بن أبي ربيعة قصيدة شعرية ساخرة من النحافة حين «عرض الأمر على قضاة العباد، وطلب منهم أن يرفضوا شهادة الرسحاء، أن يجيزوا شهادة العجزاء، وفي هذا السياق يقول ابن أبي ربيعة»:⁽²³⁾

يا قضاة العباد إن عليكم
في تقى ربكم وعدل القضاء
أن تجيزوا وتشهدوا لنساء،
وتردوا شهادة لنساء

²² . (١) خليل عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1988)، ص 107

²³ . المرجع نفسه، ص 108

فأجيزوا شهادة العجاء⁽²⁴⁾

فانظروا كل ذات بـوص رادح

لا تجيزوا شهادة الرسحاء⁽²⁵⁾

وارفضوا الرسح في الشهاد رفضا

ويقول في قصيدة أخرى:

ويملأن عين الناظر المتوسم

نواعم قب⁽²⁶⁾ بُدن صمت البرى⁽²⁷⁾

عود على بدء، لا بد من الإشارة إلى أن الجسد الأنثوي في المجتمع الصحراوي يعد من تمظهرات المكانة الاجتماعية للوحدة القبلية والعائلية، إذ أن هناك دلالات كثيرة تفصح عن هذا الارتباط منها ما يعبر عنه المثل الصحراوي التالي: «لَمَّا كَدَّ كَلَمَتُهَا كَدَّ كَعْدَتُهَا» بمعنى مماثلة حجم جسد المرأة لكلمتها ومكانتها، في إشارة واضحة إلى ارتباط الجسد المكتنز أو النحيف بمكانة المرأة وجماعة انتمائها، الأمر الذي دفع، كما رأينا سابقا، العائلات الصحراوية إلى توفير الحليب باعتباره المادة الأساسية لتسمين الإناث وتأهيلهن لسباق الزواج، كونه لا يعبر فقط عن جمالية الأنثى بل يعكس صورة العائلة ومكانتها في المجتمع. إن استعمالات الجسد تبعا لهذا المعنى تتخذ طابعا ماديا صرفا، وهي المقاربة التي اشتغل عليها كل من سيبيستيان فورنيي (Laurent-Sébastien Fournier) وجيل رونو (Gilles Raveneau)، حيث يعتبران أن «الجسد يتخذ أبعادا معقدة عندما يرتبط باستعمالات خارجية تتعدى الفرد لترتبط بالمحيط الاجتماعي»،⁽²⁸⁾ فيغدو بذلك الجسد أداة مادية لتحقيق أهداف اجتماعية لا ترتبط بالضرورة بما هو فردي، هو ما يظهر مثالا على المستوى

²⁴. العجاء: المرأة الثقيلة الأوراك

²⁵. الرسحاء: القبيحة

²⁶. القب: جمع قباء وهي الضامرة البطن

²⁷. البرى: جمع برة، وأراد بها هنا الخلخال والسوار

²⁸0. Laurent-Sébastien, Fournier and Gilles Raveneau, « Anthropologie des usages sociaux et culturels du corps », *Journal des anthropologues* [En ligne], no 112-113, 2008, p. 2.

الإعلامي حيث أصبح أمام جسد أنثوي مصطنع (*fétichisé corps*)⁽²⁹⁾ يكتسى طبيعة تسويقية وتجارية صرفة، وفي سياق موضوعنا يؤدي الجسد المكتنز وظيفة إشهارية للمكانة الاجتماعية وبمعنى أدق لمكانة العائلة في المجتمع الصحراوي خصوصا في مرحلة البداوة، بينما ترتبط وظيفيته الحالية بالقوام المميز ورهان التمايز عن الأخريات في سباق الزواج. وهكذا، اتجهت التغيرات التي عرفها الجمال الصحراوي إلى انسحاب سلطة العائلة الإكراهية من حيث فرض عملية لبلوح على الأنثى، ليرتبط إنتاج جسد مكتنز من عدمه باختيارات فردية تتصل تحديدا بالأنثى، ومن ثم لم يعد الجسد المكتنز يحمل طابعا إكراهيا أو تدخلا مباشرا من طرف العائلة بل تحكمت في إنتاجه عوامل أخرى.

يمكن القول، أن الجسد المكتنز أصبح اختيارا فرديا أو هذا ما يبدو على الأقل ظاهريا، إلا أن تحليل ما وراء الظاهر من الأشياء يكشف لنا عن إكراهات جديدة تتعدى الرغبة الشخصية بقدر ما ترتبط برغبات المجتمع، وبمعنى أدق ارتباطها بتمثلات الجمال الأنثوي؛ أي البدانة تحديدا، تقول مبحوثة من قبيلة أولاد تيدرارين (ع، م، 62 سنة): «الرجالة زينة عندهم ألا لمرأ سميننة يُغَيَّرُ فذَا الرَّمْنُ التَّالِي عَادَتْ لمرأ تُعَدِّلُ أَلَا ذَاكَ لِزَيْنٍ عِنْدَهَا وَعَت تَجَبَّرُ عَلَيَاتْ مَاهُمْ سَمِنَاتْ وَلَا يَلُودُو لبلُوحْ مَاهُو كي ذِيكَ السَّاعَة كَانْ قَرَضَ عَلَيْهَا مَنْ تَسَمَّنْ».⁽³⁰⁾ ومعناه أن تفضيل الرجل الصحراوي للجسد المكتنز يدفع الإناث إلى محاولة إنتاج قوام يناسب رغبات الرجال، وذلك عبر اللجوء إلى صفات طبية أو لبلوح في صيغته التقليدية، إلا أن الاختلاف بين الماضي والحاضر يمكن اعتباره انتقالا من الممارسة القسرية التي تفرضها العائلة إلى اعتباره، حاليا، رغبة شخصية نابغة من رغبة الأنثى نفسها. ما يمكن ملاحظته حول مضامين هذه المقابلة الأخيرة، أنه رغم اختفاء الإطارات أو الدعامات التقليدية (*supports*) للمجتمع (محددات المكانة الاجتماعية، ولفريك،... إلخ) إلا أننا أمام سؤال الاستمرارية، حيث ارتبط الجسد المكتنز سابقا بمكانة العائلة ولفريك

²⁹0. Zarka Yves, Charles. « La marchandisation du corps humain : réalité du corps fétichisé. », *Cités*, n° 65, 2016

³⁰. تاريخ المقابلة: 25-01-2017، مدينة الداخلة.

(خاصة في حالة الزواج الخارجي) ليرتبط حاليا بدواع أخرى لا تتصل تحديدا بالمكانة الاجتماعية، بل بتصورات الرجل ومحدداته الشخصية للجمال الأنثوي.

إن ما تظهره معطياتنا الميدانية يكشف عن دلالات معبرة، من بينها أن الجسد المكتنز يتجاوز بكثير المستوى التعليمي أو المهني، كوننا استهدفنا فئات اجتماعية متنوعة (بين المستوى الجامعي والمستوى الابتدائي والعاملة وربة البيت....)، لكننا لم نلاحظ اختلافات أو تباينات كثيرة بين عينة البحث سواء في ذلك الإناث أو الذكور. حيث نزعنا غالبية المبحوثات إلى اعتبارها ممارسات ذكورية مرتبطة أساسا بالخضوع إلى ذوق الرجل الصحراوي، كما أن فكرة الجسد المكتنز لا ترتبط حصرا بالفتيات الممثلات بل تتبناها أيضا النحيفات رغبة منهن في تحصيل الجسد المثالي حسب التمثلات الاجتماعية (الجسد المنحن). أما الذكور فيعتبرونه استمرارا للتقاليد المحلية وميلا سيكولوجيا قبل أن يكون بيولوجيا (جنسيا).

بغض النظر عن المتغيرات المهنية أو التعليمية، إلا أن ثقافة الجسد المكتنز تخترق كل هذه المحددات. وبالتالي فإن هدفنا ينحصر في إثارة النقاش والتساؤل حول الدواعي الكامنة وراء ابتكار «التَّبْلَاح» (لَبْلُوح) جديد يضمن الجسد المفترض، من خلال المراوحة بين الوصفات الطبية والأدوية غير المرخصة. وبطبيعة الحال دون الاستغناء عن الطب التقليدي أو الشعبي (الأعشاب ومواد أخرى) مثل اللجوء إلى تعاطي لَوْدُك⁽³¹⁾ والدَسَم⁽³²⁾ بالإضافة إلى بعض الأعشاب مثل: تاريالت والبكبوكة... إلخ.

وهذا ما يقودنا إلى أطروحة جون كلود كوفمان (Jean-Claude Kaufmann) حول قضايا الجسد وتفاعلاته مع الآخر والذات نفسها، ففي دراسته الأخيرة، حول سوسيولوجيا الجسد، يتناول كوفمان ما يسميه بحرب الأرداف⁽³³⁾ (*La guerre des fesses*) كأشكال جديدة من الصراعات المعلنة التي تعرفها الأجيال الحالية. بحيث أن تشكيل قوام مثالي

³¹ لودك: يصنع من شحم الإبل.

³² الدسم: يصنع من حليب الغنم والماعز.

³³ Kaufmann., Jean-Claude. *La guerre des fesses, minceur, rondeurs et beauté*, Saint Amand Montrond : JC Lattés, 2013.

تعدد به الأنثى لا يمكن حصره في دائرة الرغبات الشخصية، بل ذلك نتيجة للتنافسات الخفية (تجاريا وطبيا وإعلاميا) التي يشهدها سوق الجمال على المستوى العالمي (صراع النحافة والبدانة) وأيضاً بتصورات الآخرين للجمال. حيث يناقش كوفمان الجسد وصراع الأرداف ضمن تصور خاص يتأسس على أبعاد متداخلة (الجمال والمرأة الشخصية وتدخل الآخر وانطباعات المجتمع)، فضلا عن تتبع المسار التاريخي لمعايير الجمال في ضوء الاختلافات الثقافية. وذلك من خلال العودة الكرونولوجية لمحطات ومجتمعات متنوعة (القرون الوسطى والوضع الحالية) تؤسس لفهم متكامل لمفاهيم الجسد والجمال.

إن تصور المرأة للجمال والقوام المثالي، حسب كوفمان، لا يمكن تفسيره بناء على محددات أو رغبات شخصية؛ وهو ما ينطبق على المرأة البيضانية، حيث «يتأسس الجسد على انطباعات الآخرين وليس على مرآتها الشخصية»⁽³⁴⁾ وذلك عبر مسار طويل يرتبط بالتنشئة الاجتماعية وتحديد مرحلة الطفولة (هذه جميلة بينما الأخرى قبيحة)، ويصبح سيلان الأحكام الخارجية محددا جوهريا لمعايير الجمال، من قبيل تأثيرات الجسد المنحني للأسفل (انحناء في العمود الفقري) على معايير اختيار الزوجة، في مقابل ذلك النفور الاجتماعي من «النويكض» أي النحيفة.

يبدو أن عناصر أخرى تعزز من فكرة المعايير واتساع دائرة حرب الأرداف، من بينها وسائل الإعلام والإشهار تحديدا والنزعة اختلاق نزعة استهلاكية للذوق الاجتماعي الخاص بالجمال. حيث الرغبة في الجمال المصنّع للجذب الجنسي مما يجعل الجمال مرادفا للجنس، نتيجة الرغبة في الجراحة التجميلية لتحسين أجزاء من الجسم دون أخرى، وبالتالي إعادة تحديد مفهوم «الجمال الطبيعي» داخل البناء العام لمعايير الجمال. تجد هذه التصورات المرتبطة بتداخل الجمال المصنّع بالجنس في الكتابات الأنثروبولوجية المعاصرة اهتماما مميّزا، حيث تذهب هاستنغز دونان (*Hastings Donnan*) وفيونا ماغوان (*Fiona Magowan*) إلى تأكيد هذه العلاقة المترابطة فقد أصبح الحديث عن الجنس «هو بالضرورة

(.). Ibid, p. 15³⁴

حديث عن العلاقات بمختلف أنواعها...، وعن السلوكات، والمفاهيمات، والصور النمطية، والبنى المجتمعية والدينية والسياسية والمؤسسية، والأمراض، والإقصاء...، ومعايير الجمال وطرائق الإغواء الجنسية».⁽³⁵⁾

وهكذا، تتخذ التصورات المرتبطة بالجمال شكلين متعارضين، أما الأول فيقترن بمتعة «استطبيقية تتجاوز الدوافع الجنسية، فيما يتجسد الشكل الثاني في المعطى البيولوجي أي تشكيل مناطق من الجسم بناء على منطق الجذب أو إثارة رغبات الآخر (لجذب الرجل) عوض تصور الجسد ككل متكامل».⁽³⁶⁾

من الطبيعي أن يتميز كل مجتمع بمعايير الخاصة، إلا أنه كثيرا ما تتحول هذه المعايير بدرجات مختلفة لتنتج في المقابل معايير جديدة، فإذا ما انتبهنا إلى معايير الجمال في المجتمعات الأوروبية خلال القرون الوسطى، سنجد أنها لا تختلف كثيرا عن المجتمع الصحراوي في شكله الحالي من حيث سيادة الجسد المكتنز وهيمنته على معايير الجمال واعتباره القوام المثالي. إلا أن هذه المعايير ستتغير كلياً في المجتمعات الأوروبية وبشكل خاص عند بداية القرن 20 حيث ثم تجاوز المعايير القديمة وتشكيل معايير جديدة تقوم على تفضيل الجسد النحيف (*Minceur*)⁽³⁷⁾، لما لهذا الأخير من امتيازات خاصة (ارتباط النحافة بالصحة الجيدة والرشاقة... إلخ).

إن ما يهمنا هنا وهو قراءة مستويات التحول واختلافاتها من مجتمع إلى آخر، فرغم حجم التغيرات التي عرفها المجتمع الصحراوي إلا أنه حافظ على ديمومة تمثلاته التقليدية للجسد الأنثوي، وبصورة خاصة تفضيله الجسد المنحني، وهو ما يتقاسمه مع باقي «المجتمعات الإفريقية والشرق الأوسط ومجتمعات أمريكا اللاتينية باستثناء الأرجنتين حيث تفضيل النحافة في الأوساط الحضرية».⁽³⁸⁾

³⁵. هاستنغز دونان وفيونا ماغوان، أنثروبولوجيا الجنس، ترجمة: هناء خليف غني، (بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2017)، ص 16.

³⁶. Kaufmann, J. C., *La guerre des fesses...*, op. cit. pp. 13-73

³⁷. Ibid., pp. 8-73-89-100.

³⁸. Ibidem, p.100

تشير معطياتنا الميدانية إلى أن معايير الجمال الأنثوي في سياق المجتمع الصحراوي قد حافظت على استمراريته بين زمني البداوة والتحضر، فمواطن جمال المرأة الصحراوية، حالياً، تتركز بشكل كبير على مستوى أربع مناطق: الوجه ولزناد (لزناد الزينين: الزند) والصّاك (الساق *jambe*) والجفة أو الأرداف (*Fesses*).

وما يمكن ملاحظته أن البدانة لم تعد معياراً اجتماعياً لتحديد مكانة العائلة الصحراوية ووجهاتها الاجتماعية، وهو ما يمكن اعتباره انتقالاً ضمنياً من كثافة المعنى الجماعي إلى البعد الفردي الاستيطقي، وفي هذا السياق يقول مبحوث (أ، خ، 51 سنة): «لمّا (المرأة) لمُسَبَّتَة (السمينة أو لمبحلة) تَقَطَّرَ قُلُوبُ الرَّاجِلِ إِلَيَّ يَخْتِيرُهَا تُعُوذُ مُبْلَحَةً وَسُمِينَةً وَيُعُوذُ فِيهَا بِلَيْسٍ»⁽³⁹⁾ بمعنى لجوء المرأة إلى الإغواء الجسدي عبر إنتاج جسد مكتنز يثير الرجل ويعزز من رغبته فيها، أي أنها تمارس نوعاً من الغنج الأنثوي (*coquetterie féminine*) وما يتصل به من تعبيرات رمزية متناغمة مع الحركات الجسدية. على سبيل التركيب

عموماً، يمكن القول أن الجسد الأنثوي في المجتمع البيضاني يتجاوز الأبعاد الفردية ويتخذ أبعاداً جماعية، تتمظهر في الفتاة والعائلة والقبيلة وما يتصل بمجموعات الانتماء. ويعتبر الجانب الاجتماعي أكثر تأثيراً على مستوى إنتاج الجسد المكتنز أو ما يسمى بـ: "لبلوح". حيث تسعى مجموعة الانتماء إلى محاولة إكساب الأنثى جسداً يتناسب والتمثلات الاجتماعية المرتبطة بالجسد الصحراوي، مما ينتج علاقات تنافسية بين المجموعات ومحاولة كل واحدة تأهيل الأنثى إلى سباق الزواج من خلال توفير كل ما يتطلبه ذلك. قد ظلت التحولات المرتبطة بتمثلات الجسد الأنثوي متمركزة حول الانتقال من الجسد المكتنز بوصفه رهاناً للتنافس بين العائلات والقبائل، على حد سواء، إلى كونه مقتصرًا، بفعل التحولات التي تحدثنا عنها، على رهانات فردية قيمية مرتبطة بتغذية وإعادة إنتاج جسد أنثوي متناسب مع المعايير الجديدة للجمال الأنثوي

³⁹ تاريخ إجراء المقابلة: 23-04-2017، مدينة العيون.

لائحة المراجع

- فيليب لابورت تولرا، جون بيير فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، (بيروت، منشورات مجد للنشر والتوزيع، 2004)،
- مارسيل موس، تقنيات الجسد ومقالات إنسانية أخرى، ترجمة وتحقيق وتعليق: محمد الحاج سالم، (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2017).
- الناني ولد الحسين، صحراء المثلثين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا: من منتق القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م. (بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007).
- هاستنغز دونان وفيونا ماغوان، أنثروبولوجيا الجنس، ترجمة: هناء خليف غني، (بيروت، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2017).
- Alan Barnard and Jonathan Spencer (eds.), *The Routledge Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology*, (London: Routledge, 2nd edn, 2010),
- Aline Tauzin., « La femme et la jouissance interdite. Différence des sexes dans la société maure de Mauritanie », *Essaim*, n° 10, 2002, pp. 107-120.
- Edouard Conte., « Alliance et parenté élective en Arabie ancienne Éléments d'une problématique », *L'Homme*, n°102, 1987, pp.119-138.
- Charles Zarka Yves., « La marchandisation du corps humain : réalité du corps fétichisé. », *Cités*, n° 65, 2016.
- Clark Spencer Larsen., *Essentials of physical anthropology: discovering our origins*, J.W.W. Norton & Company, 2016(.
- Corinne Fortier., «Le corps comme mémoire: du giron maternel à la férule du maître coranique ». *Journal des africanistes*, tome 68, fascicule 1-2, 1998.
- Corinne Fortier., « Le lait, le sperme, le dos. Et le sang ?», *Cahiers d'études africaines*, n° 161, 2001, mis en ligne le 06 décembre 2004, pp. 97-138.
- _____., « Le corps comme mémoire : du giron maternel à la férule du maître coranique ». *Journal des africanistes*, tome 68, fascicule 1-2, 1998, pp. 197-224.
- Jean-Claude Kaufmann., *La guerre des fesses, minceur, rondeurs et beauté*, (Saint Amand Montrond, JC Lattés, 2013).
- Laurent-Sébastien Fournier, L, S., & Raveneau, G., « Anthropologie des usages sociaux et culturels du corps», *Journal des anthropologues [En ligne]*, n° 112-113, 2008
- Lee Cronk., *That Complex Whole: Culture and the Evolution of Human Behavior*, (Boulder, CO; Westview Press, 1999),

- Emler, Nicholas., « *La réputation comme instrument social* », *Communications*, n° 93, 2013.
- John W. Burton, *Culture and the Human Body: An Anthropological Perspective*, Illinois: Waveland Press, Inc., 2001.
- Sherwood, Washburn (ed.), *Classification and Human Evolution*, (New York, WennerGreen Foundation for Anthropological Research, 2004).
- Pierre Bourdieu, *Remarques provisoires sur la perception sociale du corps*, *Actes de la Recherche en Sciences Sociales Année. 1977*.
- Léonard Durand, *Voyage au Sénégal*, vol 2, Imprimeur-libraire, Paris, 1802.